﴿ لو كنت حاكماً ﴾

نشر احد الانكليز فصلا ذكر فيه ما كان يفعله في بلاده لو كان حاكما يطاع ولا يخالف له رأي ونحن ننشر بعض ارائه وتمنياته اذ لا تخلو من تبصرة قال

انني لو كنت قديراً لا يعارض لي حكم لكنت اتعرض لمنع الاذى عن كل حي لانني لا اجد منه ادنى فائدة حقيقية للانسان ولكانت الخيل اول ما ارحم فامنع استخدامها بالاطلاق حتى لا تتثقل الناس الا بطرق الكهرباء والبخار ولا يكون استخدام الخيل الا للتأنق واللهو فقط وبذلك يمنع استخدام الفقراء لها وتعذيبهم اياها ويصبح الجواد بمثابة النفيس الذي يؤثر ويحرص عليه فيعيش مغتبطا مستريحاً حتى انني لا اسمح ببيعه الا من غني لغني مبالغة في وقايته والعناية به . وحقاً لقد انصف هذا المتمني لانه قد آن للخيل ان تستريح بعد ان خدمت الانسان من عهد يتعدى التاريخ ولعل امنيته تتم في هذا القرن لان المركبات السيارة قد تحل في جميع الارض محل مركبات الخيل فلا تعود من حاجة اليها والاضطرار لتعذيبها واهتمام جمعيات الرفق من اجلها . ثم هو لو انصف لزاد على متمنياته اطلاق الطيور المغردة من اقفاصها لانها دون ريب تعذّب في تلك السجون الضيقة مع انها قد خلقت لهذا الفضاء الواسع تجول فيه كما تريد ولتلك الحدائق النضيرة تغرد فيها عن طبع لا كره لاننا لا نظن تغريدها في الاقفاص الا عن عادة لا عن مسرة وجذل . الا ان ذاك المتمني اذا كانت قد فاتته رحمة الطيور

فقد بالغ في رحمة الخيل وما على نوعها فقرر ان يجعل عليها الضرائب الباهظة اذ هي ستصبح من حظ الاغنياء كما انه قرر اعفاءها من اللجم التي تضايقها وردها الى حالتها الاولى

ثم قال ولقد يكون في جملة ما افعله بعد راحة الخيل لراحة الانسان ان لا اترك شارعاً يمكن ان تجول فيه المركبات الكهربائية الا سيرتها فيه مشترطا على ذلك ان لا يكون لها اصوات تضايق الناس بل يكون كل ما فيها راحة في راحة ثم ارتد بعد ذلك الى الانسان نفسه فلا اترك احداً يكون معه اكثر من مليون جنيه فاذا شاء التنحي بعده عن العمل كان ذلك خيراً اذ يترك سبل السعي واسعة لسواه والا فانه اذا اشتغل وزاد ماله عن المليون تؤخذ منه الزيادة لتتصرف بها الحكومة في وجوه الخير الشاملة لجميع السكان . ولقد يكون هذا المتمني اصاب هنا ايضا لان حشد المال الى ما فوق الملبون جنيه مما يخالف سنن العمران ويقال ان حكومة زيلاندا الجديدة تجرب هذه الطريقة لترى مبلغ تأثيرها بين الشعب فاذا جاءت بنجح فقد تعمّ جميع الارض

ثم قال انني ارى الناس حين يكونون في المدن يكونون متضايقين جداً من فرط الازدحام بها وعدم رؤية ما يبهج النفس فيها ولذلك اراهم يهرعون الى الحدائق والضواحي والقرى ملتمسين العيش ولو قليلا في كنف الطبيعة المحضة وهو ما امنعه اذا كنت قديراً لا اعارض بان اجعل البداوة في المدنية لا المدنية في البداوة وذلك بان اجعل كل المدائن خضراء ذات مناظر طبيعية تغني ساكنيها عن التماس سواها ثم ازيد في ذلك فاجعل احراق الموتى الزامياً حتى تصبح كل مقبرة حديقة وعند ذلك تخضر المدائن

وتزهر . ثم التفت بعد ذلك الى المهاجرة والرفق بالمهاجرين فاجعلهم يسافرون باطلاع الحكومة ورضاها حين يكونون بلا اعمال ترضيهم في البلاد وافاوض البلاد النازحين اليها من اجل الرفق بهم والنظر في امور معايشهم ثم التفت بعد هذا الى ترتيب المعايش في بلاد الانكليز فاغير صورها الحاضرة واجعل للعملة الفقراء بيوتاً يصح ان تسمى بيوتا واجعل للحسن مجالا واسعا فيها لان الحسن لا يقتضي النفقة الطائلة كما يزعمون وانما هو يقتضي بالاكثر الترتيب وحسن النظر . واني الان ارى بيوت العمال وهي كانها سجون لضيقها وقذارتها وهو ما يقتضي تغيير شكلها فاجعلها ذات غرف عديدة واجعل لجماهير العمال مطبخاً واحداً يكون عظيما كافيا فيتعاونون فيه على طبخ مأكولاتهم لان مطابخ البيوت الحالية تشغل منها امكنة ليست بضيقة فاذا زالت منها كان مكانها غرف وكفي اهلها ما ينتج عنها من الروائح وسائر ما يتضايق منه الناس الان وكنت افعل مثل ذلك في المغاسل فاجعلها للجماهير بدل الافراد وبذلك يكفى الجميع شر ضيق شديد . ثم اعمد بعد ذلك الى البيوت جميعها فلا اجعلها عالية تتعب الصاعد اليها بل تكون دورين فقط لان الانسان بجملته ما خلق ليصعد ويهبط على الدوام بل هو خلق ليمشي مستقيما الى الامام

ولقد تمنى هذا القائل غير ذلك شيئا كثيراً كله ينفع لو تم وكان في جملته الطلاق فجعله سهلا للغاية وجعل الحرية فيه للزوجين الى ما بعد مضي خمس سنوات على زواجهما بدون ان يكون الباعث اليه شيء من خلاف ونحوه كما انه جعله قبل هذه المدة سهلا ايضا فقرر طلاق السكير والمقامر والمشاغب الذي يكثر سجنه والمسجون الى مدة طويلة والذي يثبت عليه

انه لم ينفق على بيته مدة سنة كما يجب في حين هو قدير على النفقة الى مثل ذلك من طرق الاصلاح التي لو تمت وسرت في كل الارض لعاش الناس آمنين ان كان بين الناس امن ولكنها مما سيكفل بتحقيقها طول الزمن وكثرة الاختبار والتجربة

وعلى ذكر هذا التمني الذي يكثر في صحف الغرب نذكر ما اقترحته مجلة سركيس الغراء على قرائها وهو نظم قصيدة بمعنى ماذا كان يفعل ناظمها في مصر لو كان له مال المستر روكفلر الذي تقدر ثروته بمبلغ مئة وعشرة ملايين جنيه ودخله منها في العام بمبلغ عشرة ملايين وقد انبرى الشعراء المتفكهون في هذا المضمار فنظموا الشعر الحسن في ذاك المعنى وقد كان في جملته قصيدة نظمها امين افندي الحداد احد شعراء هذه المجلة رأينا نشرها هنا من قبيل التفكه بهذه المتمنيات الجديدة اما القصيدة فهي

لو كنت روكفلراً لكنت كريما ... أهبُ العديم وامنح المحروما
واصون اخواني عن الفقر الذي ... اعتده فقراً عليَّ ذميما
ولقد ارى فقر الصديق اخي الحجى ... كقذى بعيني يمنع التهويما
واذا حصلت على جدى لم يكفني ... معه اراه بلاً عليَّ عظيما
بل قد ارى عون الصديق كأنه ... دين له ومطلت منه غريما
لو كنت روكفلراً اذن لاقى الورى ... مني غمام ندى يفيض سجوما
واريتهم ان الذي ظلم الورى ... بخل ولم يكن الزمان ظلوما
لو كنت روكفلراً لكنت بماله ... نيلا لخيرات البلاد مديما
ان شح اعطيت الحكومة مكسها ... ورددت فيها القطن والبرسيما

وانلت ارباب القريض حقوقهم منه وحقاً اخراً مهضوما
يرقى به الكتاب بعد قعودهم دهراً رأوه مقعداً ومقيما
عاشوا جميعاً برهة من دهرهم ذاقوا بها الغسلين والزقوما
واثيبهم لقصائد سيارة قد كن كنزاً قبله مختوما
يهتكن استار الدجى فتخالها مما سطعن بوارقا ونجوما
ينظمن فيَّ لما نثرت وطالما كان البديل من النثير نظيما
وازيد في بري فامدح مادحي فعل الذي مدح الوليد قديما (١)
واعين كتاب الجرائد كلهم حتى يبيت الخادم المخدوما
واعز كل فقيرة فتانة حتى يبيت جمالها معلوما
وترى الليالي وهي تبهى مثلها والدهر طلقا والزمان وسيما
فالحسن اقبح ما يرى بفقيرة والفقر كم ابدى الجميل دميما
لو كنت ركفلراً بمصر لما بدا فيها كريم يستميح لئيما

(١) الوليد هو البحتري الشاعر المعروف حدث عن نفسه قال مدحت طاهر بن اسمعيل بن صالح الهاشمي وكان مع شرفه اديباً ظريفاً شاعراً وهو رجل من اهل حلب فبعث الي بدنانير وكتب الي بهذه الابيات

لو يكون الحباء حسب الذي انت لدينا له محل واهل
لحبيت اللجين والدر واليا قوت حثواً وكان ذاك يقل
والشريف الظريف يسمح بالعذ ر اذا قصر الصديق المقل

قال فرددت عليه الدنانير واجبته بهذه الابيات

بابي انت انت للبر اهل والمساعي بعد وسعيك قبل
والنوال القليل يكثر ان شا ء مرجيك والكثير يقل
غير اني رددت برك اذ كا ن رباً منك والربا لا يحل
واذا ما جزيت شعراً بشعر يبلغ الحق فالدنانير فضل

يا حبذا لو كنت ركفلراً فقد ... اكفي بريئاً ان يكون اثيما
فيرى بديل السجن دار صناعة ... تغني القضا عن ان يكون مليما
يثني عليّ على الخصوص وانما ... يثني على مال اراه عموما
واظل لا انفك حتى تغتدي ... مصر لمن طلب النعيم نعيما
فيرى قفار القطر صرن حدائقا ... غناء لا شيحا ولا قيصوما
ويرى المدارس كالحدائق اينعت ... زهراً يبيت به الجهول عليما
ويرى الملاجئ تزدهي فيخالها ... مثل الملاعب لا تضم سقيما
ويرى اليتيم هناك قرت عينه ... فيريه در الدمع منه يتيما
يثني عليّ لرحمتي حتى لقد ... ينسى اباه المذنب المرحوما
ويرى بيقظته الذي ما خاله ... في النوم لو كان الزمان كريما
يا حبذا لو كنت ركفلراً ولو ... ان التمني لا يكون عقيما
لو كنت ركفلراً وقد علم الورى ... خلقي لارجعني السخاء عديما
ولقد افضل ان ابيت على الطوى ... من ان ابيت على الثراء ملوما
هذا الذي قد كنت اظهره وقد ... كان الفؤاد لما نويت كتوما
بل ما نويت سوى العلى بعمومها ... والمجد اجمع والعطاء عميما
لا ارتجي اغدو غنياً بل لهم ... ان يرتجوني للثراء زعيما
فالمال مالهم ولي انفاقه ... كالجو يعقد للتراب غيوما
وفس الذي يأتي الى ما قد مضى ... حتى الاتي الموعد المحتوما
فالرزق قسم ليس يحسن وقعه ... حتى يكون على الورى مقسوما